الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي

عباس كريم عبد
كلية التربية الاساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين

يتناول البحث التالي الحياة الاقتصادية لليمن في العصر العباسي، فقد عرف اليمن بأنه بلد زراعي من الطراز الأول ازدهرت فيه الزراعة وعرف باستخدام نظام المدرجات في زراعة المناطق الجبلية والوعرة، كما اشتهر ومنذ القدم بتطوره في مجال الري وبناء السدود وخير دليل على ذلك شهرته بانشاء سد مأرب، كما ازدهرت الصناعة في اليمن وانتشرت في مدنه المشهورة فضلاً عن النشاط التجاري والذي عزز من دور اليمن وأهميتها هو موقعها الجغرافي المهم على طرق الملاحة والمواصلات الدولية المعروفة منذ القدم فكانت بحق بلاد العرب السعيدة ذات الإرث الحضاري العريق.

أن تاريخ دولة اليمن تاريخ مجيد حافل بالثروات والخبرات والإمكانيات ولا يزال يشهد عليه ما نقشه أولئك الذين بنو تلك الحضارات وسطروا تلك الأمجاد، وهذا مما دفع الباحث لتسليط الضوء على جانب مهم وحيوي من حياة اليمن ونقصد به (الحياة الاقتصادية) والتي تتحدد بشكل عام من خلال أنتاجها ومواردها الطبيعية والتجارية فضلاً عن مواردها من المواد الأولية.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى ثلاثة مباحث حيث تناول المبحث الأول الحياة الزراعية فيما تناول المبحث الثاني الحياة الصناعية فضلاً عن المبحث الثالث الذي كان مخصصاً للتجارة في العصر العباسي.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على جملة من المصادر تنوعت بين الأصلية منها والحديثة، وكان بعضها ذا فائدة كبيرة لا غنى عنها ولبعضها الآخر فائدة ثانوية مكملة لما تتطلب الدراسة، ومن بين هذه المصادر والمراجع كتاب (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) لمؤلفه عبد الرحمن بن علي المعروف بأبن الديبع، وكتاب (كنز المخبار في معرفة اليسر والأخبار) لمؤلفه عماد الدين الحمزي، وكتاب (اليمن الخضراء مهد الحضارة) لمؤلفه محمد بن علي الأكوع وغيرها العديد من الكتب.

ويأمل الباحث انه وفق في تسليط الضوء على هذا الجانب المهم والحيوي من حياة اليمن الاقتصادية.

تمهيد

سميت اليمن بهذا الاسم لأنها تقع يمين الكعبة المقدسة لذلك سميت يمن تيمناً بهذا الاسم، ومنهم من يرى أن اليمن أنما سمي اليمن يمناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن[١].

والبعض الآخر قال أن اليمن هو عبارة عن ماء في غطفان على الطريق تيماء وقصد، وقيل أنه ماء لبني حرمة بن مرة وسماه بعضهم أمن ويتداول الكلام ومرور الزمن سمي هذا المكان الذي وجد فيه هذا الماء المذكور باليمن[٢].

أما ما يعرف العربية السعيدة فقد جاءت ترجمة للاسم السبأي اليمن (يمنيات) (يمنت) أي الخير والبركة ومن خصائص هذا الجزء هو خصوبة التربة وغناها النباتي مقارنة مع أجزاء الجزيرة العربية الأخرى[٣].

وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها، حيث غطت المزارع والبساتين رقعة شاسعة من اليمن بأشجار الخوخ والتين والأجاص والتفاح واللوز والسفرجل والرمان[٤].

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وتمر بها من الشمال إلى الجنوب سلسلتان تحصران بينهما هضبة عريضة وينحدر سطحها نحو البحر بشدة تاركاً سهلاً ساحلياً يقطعه عدد من الوديان المنصبة في البحر، وتسقط على هذه البلاد أمطار غزيرة تأتي بها الرياح الموسمية من شرقي افريقية، وقد

ساعدت هذه الأمطار على نشوء النهيرات الصغيرة والتي يستفاد منها في الزراعة مما أدى إلى استقرار الناس ونشوء المدن والمدنية(٥).

يحد اليمن من الغرب البحر الأحمر وقد أعطى هذا الموقع لليمن وبامتداد التاريخ ثقلاً عالمياً في حقل الملاحة والتجارة فعن طريقه يتصل المحيط الهندي والبحر المتوسط، وعبر اليمن يتم الاتصال بين آسيا وافريقية، كما ان اليمانيين استفادوا من ظاهرة طبيعية جاء نتيجة لموقعها هذا ونقصد بها الرياح الموسمية ذات الاتجاه الشمالي الشرقي في الشتاء وذات الاتجاه الجنوبي الغربي صيفاً حيث استفادوا من انتظام اتجاه الرياح الموسمية بتطوير التجارة المزدهرة مع افريقية مما خدم بالتالي الاقتصاد اليمني(٦).

وبحكم السعة النسبية لأرض اليمن جعلها تتحكم في قطاع كبير من الجزيرة العربية وصلاتها مع العالم الخارجي، كما ومن مميزات هذا البلد امتلاكه لثروة معدنية كامنة تحتاج الى مسحها والتأكد من جدوى استغلالها اقتصادياً، كما أن بلاد اليمن في موقعها هذا قد اكسب بعض مدنها ومناطقها مناخاً إستراتيجيا مهماً جذب إليه مجموعات سكانية كبيرة مثل بلاد خولان والتي تشمل على قرى ومزارع ومياه مغمورة وكذلك نجران وجرش، وليس في جميع اليمن مدينة اكبر ولا أكثر سكاناً من صنعاء(٧).

المبحث الأول

الزراعة في اليمن في العصر العباسي

لقد شهدت اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ-٢٤٧هـ) اضطراباً في الأوضاع السياسية حيث فشل الوالي (عبد الله بن الربيع) (١٣٦هـ-١٤٠هـ) في قمع الفتن في اليمن وهذا مما أدى إلى حدوث الفوضى والتي كان لها الأثر الكبير على النواحي الاقتصادية وأثار ذلك قلق الخليفة المنصور الذي ولى على اليمن (معن بن زائدة الشيباني) (١٤٠هـ-١٤٦هـ) والذي كان عارفاً بشؤون بلاد اليمن، فقد عهد أليه الخليفة المنصور بقمع حركة الخوارج وإعادة الهدوء للبلاد، وكان لهذه السياسة المتشددة أثرها في إخماد الفتنة، إلا أنها من جانب آخر لم تستطع أن تهتم بالفرد اليماني وان تعمل على تحسين أوضاعه المعيشية بل اقتصرت على المطالبة بأداء الضرائب المفروضة عليه، فقد اخذ ممثلو الدولة في جمع الضرائب وزيادتها(٨).

لقد كان من نتيجة هذه السياسة المتشددة أن ساءت أحوال الفرد اليماني لذلك فكر الخليفة الرشيد أن يولي على اليمن (محمد بن خالد بن برمك) في سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، وكانت من أحسن العصور التي عاشتها اليمن والذي حكم الناس بالعدل وخفف من عبء الضرائب، وكان من أعماله أيضا في مجال الزراعة أنه أجرى نهراً كان يعرف بـ(غيل البرمكي) الذي كان يسقي بساتين صنعاء الجنوبية والغربية وشعوب والروضة والرحبة ومدحه الناس والشعراء(٩).

وكذلك عمل البرمكي على تحقيق ما كان الناس يعانون منه من الظلم وبطش الولاة السابقين، وهذا مما انعكس ايجابياً على الحالة الاقتصادية لهم، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً فقد ولى الخليفة هارون الرشيد مكان البرمكي، حماد البربري (١٨٤هـ-١٩٤هـ) والذي كان على العكس من محمد بن خالد البرمكي، فقد اتبع سياسة شديدة تقوم على رفع الضرائب وشدد على الناس في جبايتها ولم يتهاون مع العابثين والمفسدين ومثيري القلاقل، وكذلك ضرب بيد من حديد على اللصوص وقطاع الطرق فآمنت الطرق في عهده وكانت القوافل تأتي إلى اليمن وتخرج منها بسلام، الأمر الذي أدى إلى توفر السلع وانخفاض الأسعار وبالتالي ازدهار الحالة الاقتصادية(١٠).

ويبدوا إن الحالة الاقتصادية في اليمن كانت متوازنة المستوى على الرغم مما شهدته من اضـطرابات ومشاكل والتي لولاها لكانت الحالة الاقتصادية أفضل بكثير، أضافه إلى تأثير عملية تغيير الولاة حيث لوحظ أن المدة التي يقضيهما الولاة تتراوح بين عدة شهور وذلك بسبب العزل، وهذا مما يؤثر على معرفة الـوالي بأمور البلاد وبالتالي ضعف معالجته لأمور ولايته، وكذلك فأن نزاهة الولاة ووكلائهم فـي المنـاطق كـان مشكوك بها والدليل على ذلك مصادرة الكثير من أموال الناس، فقد ظهر من بين الولاة من كان همه الوحيـد هو كيفية جمع الأموال على حساب الناس، حتى ان بعض الولاة وعمالهم جمعوا أموالاً كثيرة، فقد ذكر عـن الوالي (محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي) والي الأمين سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م، انه صادر بعض اموال حماد البربري حيث أخذ منهم اموالاً كثيرة، كما صادر الوالي (عمر بن إبراهيم العمري) سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، من الوالي الذي سبقه يزيد بن جرير اموالاً كثيرة[١١].

هذا فضلاً عن خروج محمد بن سعيد بن السرح من اليمن بأموال كثيرة، والسبب في ذلك بعـد الـيمن عن مركز الخلافة وضعف الرقابة المركزية عليهم وعدم التزام هؤلاء العمال بالحرص على أموال المسلمين وجمعها لصالحهم، كما أثرت الفتن والحروب التي ظهرت في عدة أماكن من ولاية اليمن، أثرت سلبياً عليها، فقلصت طاقتها البشرية وألحقت بالوضع الاقتصادي أضراراً بالغة وذلك لتركهم مجالات النشاط الاقتـصادي بل وتخريبه في مجالات أخرى[١٢].

أما في عهد الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ) فقد حل نظام الإقطاع محل النظام القبلـي الـذي كـان منتشراً في جهات اليمن المختلفة لتستعيض عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قـسط مـن الأمـن، إضافة إلى إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية في تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهمـا، كما استنزفت الدولة قسطاً كبيراً من ماليتها في الحرب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولـة وأصحاب المذاهب الأخرى، ومما لاشك فيه أن الزراعة كانت قوام هذا المجتمع من الفلاحين وبذلك تكونـت طبقة من المستأجرين ضخمة العدد، ولم تكن هذه الطبقة الا من القبائل الفقيـرة التـي لـم ترضـى بحكـم الصليحيين ولما كانت ثروة البلاد تعتمد الاعتماد الكلي على ما هو مستحصل من هؤلاء المـستأجرين، فـأن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضي ان يسهر على مصلحتها[١٣].

كما لقيت الزراعة في اليمن اهتماماً كبيراً في العصر العباسي وخاصة في العصور المتـأخرة والـذي يمثل عصر الدولة الرسولية، وهو العصر الذهبي للحضارة العربية في اليمن حيث اتبعوا سياسة كانت السبب في ان تحتل الزراعة مركزاً هاماً في الحياة الاقتصادية في اليمن فضلاً عن أتباعهم سياسـة جديـدة تجـاه الضرائب تارة، ويقومون بتخفيض تارة أخرى، كما قاموا بإجراء التجارب الزراعية، وتـأليف العديـد مـن المؤلفات والتقاويم الزراعية[١٤].

ويبدو أن الملكية الخاصة للأراضي الزراعية في اليمن كانت أكثر انتشاراً سواء كانـت متوسـطة او صغيرة، ومعنى هذا ان الأراضي لم تكن عائدة للمقتطعين كما يجب في النظام الإقطاعي[١٥].

لقد عرف المزارعون في اليمن العديد من الطرق لأستغلال اراضـيهم الزراعيـة وكـان اصـحاب الاراضي يقومون بأستغلال اراضيهم مباشرة وخاصة اذا كانت الاراضي ذات مساحة صغيرة، واما اذا كانت الاراضي ذات مساحة كبيرة فأنها تستغل بطرق عديدة منها الاجر والشراكة والضمان بالاضافة الـى طـرق اخرى قليلة الانتشار، كما انفردت اليمن بزراعة بعض الاشجار والنباتات والتي تميزت بمردودها الاقتصادي المرتفع وقد احتكر اليمن بتصديرها الى مختلف البلدان ونال شهرة واسعة بانتاجه لها وخاصة (اللبان) والذي تذبذب الطلب عليه ثم استعاد مكانته في الاقتصاد اليمني في اواخر العصر العباسي حيث كن يـوفر ارباحـاً

عالية وكان من الطرق التي عرفها المزارعون وكانوا بواسطتها يستطيعون ان يحفظوا محاصيلهم الزراعيـة من حبوب وفواكه من التلف وبقائها لأطول فترة ممكنة، ومن هذه الطرق طريقة دفن الحبوب وطريقة الكمون والملح او الرماد والطين الابيض بالاضافة الى طريقة حفظ الفواكه، وقد تأثرت الزراعة في اليمن بالعديد من الظروف والعوامل الطبيعية والبشرية والتي كانت سبباً في تدني الانتاج الزراعـي، ومـن هـذه الظـروف والعوامل هي الآفات الطبيعية مثل الطاعون والجفاف والسيول والامطار والجراد والزلازل(١٦).

أما بالنسبة لأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في اليمن، فقد انتشرت زراعـة محاصـيل مختلفة لتوفير الشروط الطبيعية والبشرية للأنتاج الزراعي من تربة صالحة ومناخ ملائـم بالأضـافة الـى الاختلاف التكويني التضاريسي لليمن بين سهول وجبال، والذي يؤدي الى أختلاف في درجة الحرارة وكذلك في سقوط الامطار، وهذا مما يؤدي الى ان تشهد اليمن نشاطاً زراعياً على مدر فصول السنة المختلفة وهـذا يؤدي بالتالي الى التنوع في المحاصيل الزراعية والتي كان من اهمها الحبوب من الـذرة والقمـح والـدخن والسمسم والشعير والأرز والحمص والعدس والماش والباقلاء وكذلك الفواكه والأشجار المثمرة والنخيل، ومن الفواكه العنب والموز والسفرجل والرمان والتفاح والأجاص وغيرها، فضلاً عن الخضروات ومنها البطـيخ والخيار والقرع والباذنجان والجزر والفلفل والثوم والبصل والكراث(١٧).

وكذلك عرفت اليمن زراعة الورد والرياحين والياسمين والحناء والنرجس كما شهدت اليمن نـشاطاً زراعياً كبيراً حيث شجعت الدولة زراعة المحاصيل الزراعية التجارية مثل محصول (القهوه)(١٨) كمـا ازداد التبادل التجاري مع الهند والصين والحجاز وشرق افريقيه وقد أنعكس ذلك على أزدياد النشاط الزراعي، وقد سعى المزارعون الى تصريف محاصيلهم الزراعية في أسواق القرى أو المدن المجاورة، وكانت كـل مـن مدينة (تعز وزبيد وعدن وصنعاء) من أهم المدن التي تزخر بالأسواق المختلفة وكان يحدد سعر بعض السلع التي يقوم المزارعون ببيعها في المدن على حسب العرض والطلب، وكان هناك ارتباط بين زراعة محاصيل زراعية معينة ومواسم التجارة في المدن مثل محصول (القهوه) وازدياد الطلب عليه في مواسم تجارتها حيـث كان يصدر الى الخارج اليمن (١٩).

لقد أستخدم المزارعون أثناء عمليات البيع وشراء الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، كمـا تعـددت وحدات الكيل والتي اختلفت من منطقه الى أخرى وكذلك كان هناك وحدات وزن عديدة، وكان المزارعـون يقومون باستغلال أرضيهم الزراعية بأنفسهم مباشرة أو بطرق مثل طريقة (الأجار) وقد توصل المزارعـون الى معرفة نوعية الارض الزراعية وبطرق منها طريقة الشم والذوق وزيادة أو نقـصان التـراب، وكـذلك توصلوا الى معرفة العديد من الطرق في مكافحة الافات الزراعيه، وقد أستخدم المزارعون تقويمـاً زراعيـاً فكانوا يقومون بأنشطتهم المختلفة وفقاً لذلك التقويم شهراً بشهر وعلى مدار السنة، كمـا أهـتم المزارعـون بزراعة مختلف المحاصيل وذلك لما كانت تشكله من مصدر هام لغذاء الـسكان وقـاموا بتـصدير بعـض المحاصيل الى خارج اليمن الى الحجاز والهند وغيرها وهكذا فقد زاولت أغلب طبقـات المجتمـع اليمنـي الأشتغال بالزراعة حيث كانت الزراعة هي الغالبة على نشاط الناس، كما كانت معاملة الملـوك والمـوظفين للمزارعين جيدة (٢٠).

وكذلك فأن اليمن تميزت بحسن طرائق ريها وغزارة زروعها، وكان لطبيعة ارضها الجغرافية دوراً في هذا التميز حيث كان يوجد في اليمن العديد من الاوديه ومنها (البجباجه) وهو كثير النخل و(وادي عـدو) وهو كثير الابصال والأعناب و(وادي برامس) وفيه القطن، وأودية(شيحان وعلان والسراة) حيث كانت هـذه الأودية كثيرة النخل والزروع فضلاً عن أودية أخرى كثيرة(٢١) وكحالة مرتبطة ومتفاعلة مع الزراعـة فقـد

أهتم أهل اليمن بالثروة الحيوانية وأنواعها فقد أشتهرت مدينة (جبلان) بكثرة البقر وأشتهرت بلادة (الـصعر) بالأبل وأيضاً كان هناك الزرافات والجواميس وفي حقل (صنعاء) يوجد الضأن والبقر وفي بلادة (حاشر) تكثر الماشية كما تتميز اليمن بأنواع عديدة من الأبل العبدية، وبسبب كثرة الجلود من الحيوانـات المختلفـة فقـد أشتهرت اليمن بالدباغة [٢٢].

ومما ساعد ودعم أستقرار النمو الأقتصادي الزراعي بفرعيه النباتي والحيواني وجود كميات كثيرة من المياه على شكل أنهار وغيول وينابيع وآبار، وقد تميزت اليمن بالسيطرة على هذه المياه من خلال السدود حيث كانت السيول تسقي بعض الأشجار، وأيضاً تميزت الجبال بوجود المياه في رؤسها مثل آبـذر وضـفار وكانت الغيول تشق طريقها بين المنازل الى البساتين، وبالأضافة الى الأبار والعيون هناك الأنهار الظـاهرة ففي بلاد همدان وفي الجوف الاعلى توجد القرى على شط الخاردة الذي تصب فيـه أنهـار داعـم والخـوير والميرب، وقد كان الوالي (محمد بن برمك) قد أصلح وسائل الري فضلاً عن أنشائه الغيل والنهر الذي يسمى (بغيل البرمكي)[٢٣].

ومن المميزات الأخرى التي تميزت بها اليمن هي الزراعة بطريقة المدرجات والتي أختصت بهـا البلدان ذات الطبيعة الجبلية الصعبة والتي تعاني انحداراً حاداً، كما برع اليمنيون في تسوية المدرجات علـى سفوح الجبال الخصبة لتكون أحواضاً تتقبل الامطار الصيفية فترويها قبل أن تهبط الى مجاري الأودية والتي تمتلئ بالمياه في فصل الأمطار[٢٤].

الخراج في اليمن

أعتبرت أراضي اليمن أراضي عشرية وخراجيه، وشكلت نسبة الخراج المفروضة على الاراضـي الزراعية مورداً هاماً من الموارد المالية في اليمن، فاليمن بلد زراعي أحتلت فيه الزراعة المركز الأول بـين مقومات الدولة الأقتصادية، وقد أهتم ملوك وسلاطين اليمن بالزراعة من أجل الحصول على مورد أقتصادي يسخرونه لخدمة اغراضهم السياسية والعسكرية في السيطرة على كافة أرجاء اليمن، ومن الجدير بالـذكر أن مستوفي الخراج كان يحصل من نفس الغلة المزروعة أو ثمنه في وقت الحصاد حـين يكـون سـعر الغلـة رخيصاً، وأن الدولة لم تكن تتدخل في تقدير أثمان الغلة مما ينعكس أيجابياً لصالح المزارعين[٢٥].

وقد كانت الدولة تراقب موظفيها الذين تسند اليهم مهمة أستيفاء الخـراج، فمـن خـالف الأصـول المرعية وأنتهى أمره الى السلطان طلب الى مستند الدواوين التضييق عليه والزم العامل المتولي أرجاع مـا أخذه، وقد عرفت اليمن ثلاثة دواوين رئيسية نظمت العلاقة بين الرعية والدولة في كافة الجوانب، وخاصـة الجوانب المالية والادارية والدواوين هي الديوان الكبير(ديوان الخراج) و(ديوان الخاص) و(ديـوان الحـلال) ومن أهم موظفي ديوان الخراج، المستوفي والمستند وناظر الجهة وملتزم الجهة [٢٦].

أما بالنسبة الى كيفية تحصيل الخراج وجبايته فكان يتم بالأعلان بعد أن يعلم السلطان العمـال عـن رغبته في تحصيل الخراج، وذلك بأن ينادي ببداية جمع الخراج، وكانت تعطى مدة كافيـة بعـد الاعـلان، وعندما يحاول أحد السلاطين الأستعجال بجمع الخراج فأنه يجد الأمتعاض من قبل المزارعين وأيضاً من قبل الموظفين في الدولة لما يسببه من متاعب، وكان من أهم الضرائب هي ضريبة الذرة وضريبة النخيل والقطن والسمسم وغيرها وكان يتم جباية الخراج من المزارعين في وقت مناسب لظروفهم كما أتخذت الدولة العديـد من الأجراءات مثل الغاء وتخفيض بعض الضرائب وتحسين أسلوب جبايتها وغيرها من الاجراءات والتـي كان هدفها تشجيع الزراعة والمزارعين[٢٧].

ويمكن ابراز الوضع الاقتصادي في اليمن في العصر العباسي من خلال مقادير الخراج، فقد بلغ خراج اليمن ثلاثمائة وسبعين الف دينار، ثم أرتفع هذا المبلغ ليصل سنة ٢٠٤هـ/٨٢٢م الى سبعمائة الف دينار، كما أورد أخرون ببيان خراج اليمن فقالوا أنه بلغ في عهد الخليفة هارون الرشيد ٨٧٠ الف دينار في السنة [٢٨] وهذا يعني ان الحالة الاقتصادية في اليمن كانت جيدة المستوى على الرغم من الأضطرابات والمشاكل التي حدثت بها والتي لولاها لكانت الحالة الأقتصادية أفضل.

المبحث الثاني

الصناعة في اليمن في العصر العباسي

لقد توفرت في اليمن الكثير من المواد الأولية للصناعة في عصور مبكرة من التاريخ، فقامت فيها عدة صناعات قبل الاسلام وبعده ومن تلك المواد العقيق والجزع والحديد الذي وجد وبكميات كبيرة في عدن حتى سمي أحد جبالها (بجبل الحديد) كما وجد الحديد أيضاً في أرض وادعة وهي تقع بين صعدة والحجاز، وأشتهرت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب في صنعاء وظفار، كما أنتشرت صناعة الأواني والأطباق والخزف والفخار وكذلك صناعة الاسلحة وغيرها من الصناعات [٢٩].

وفي العصر العباسي لقيت الصناعة بصورة عامة ومن بينها الصناعات القائمة على الانتاج الزراعي أهتماماً كبيراً من قبل حكام اليمن حيث عملوا على أستقدام الصناع من مصر والشام لقلة وجودهم في اليمن، كما عملوا على أرسال متخصصين في معرفة الصناعات والصناع الى عدد من الدول ومن بينها العراق والشام لشراء أفضل ما هناك فضلاً عن تقديم الكثير من الأموال الى هؤلاء الصناع حتى يقدموا الى اليمن، ومما يدل على أهتمام ملوك وسلاطين اليمن بالصناعة هو تأليفهم بعض من المؤلفات التي تتناول الصناعه، ومنهم السلطان الملك المظفر الأول الذي ألف كتاب (المخترع في فنون من الصنع) حيث تناول فيه العديد من الصناعات[٣٠].

ويمكن ان نقسم أهم الصناعات القائمه في اليمن الى صناعات تعتمد على الانتاج الزراعي مثل صناعة المنسوجات التي نالت شهرة واسعة في اليمن منذ مدة طويلة فيقال برود اليمن وديباج الروم وحرير الصين، كما قامت صناعة القطن في عدد من المناطق التي اشتهرت بزراعة القطن ومن بينها الكدراء ولحج وزبيد والشحر وصنعاء، فضلاً عن قيام النساء بغزل المنسوجات لعوائلهن، حتى ان بعضهن كان يحققن أكتفاءاً ذاتياً من الملابس، ومن الصناعات الأخرى القائمه على الانتاج الزراعي هي صناعة الزيوت الذي كان له أهمية خاصة في الغذاء والأضاءة والتي كان يعتمد في صناعتها على محصول السمسم والذي كان منتشراً زراعته في اليمن، وأيضاً أشتهرت صناعة السكر في المناطق التي يزرع فيها قصب السكر مثل جبله وصناعة النبيذ نظراً لكثرة ما يزرع من العنب وتوفير أنواع الزبيب المختلفة حتى أننا نجد أن ضمان دار النبيذ في عصر الدولة الايوبية ليصل الى (أثني عشر الف دينار) كما ترتب على انتشار أشجار النخيل وبكثافة في عدد من المناطق ومنها حضر موت أن قام المزارعون بصناعة بعض الادوات مثل سفرات الطعام وصناعة الحصران والزبيل من السعف والجريد واستعمال الجذوع في البناء[٣١].

كما كان هناك صناعات قائمه على الانتاج الحيواني أذ أن أعمالهم الزراعية المختلفة كانت تتطلب منهم بتربية الحيوانات المختلفة مثل الابقار والثيران التي تستخدم لحراثة الارض والخيول والجمال والحمير والتي كانوا يستخدموها لنقلهم ونقل محاصيلهم الزراعيه الى الاسواق، فضلاً عن صناعة الالبان ومشتقاتها الزبد والجبن كما اهتموا بتربية النحل، وأشتهرت في اليمن صناعة الحرير اعتماداً على توفر دودة القز حيث

كانت اليمن مناسبة لتربية هذه الدوده، بالأضافة الى ذلك انتشرت في اليمن صـناعة الادوات الزراعيـه وان كانت من الطبيعي ان تساعدهم في ممارسة اعمالهم مثل صناعة المناجل والمحـافر والمقـالع والمحاريـث وغيرها من الادوات وكان يساهم في ذلك توفر أنواع مختلفة من المعادن لصناعة هذه المواد مثـل الحديـد والذي تصنع منه أدوات زراعيه مختلفة [٣٢].

ومن الصناعات الاخرى التي عرفت بها اليمن هي صناعة العطور والاطايب وخاصة فـي عـدن وكان يصدر منها الى بلاد فارس والروم والهند وكانت سوق عدن من أسواق العرب المشهورة ببيع العطـور وقيل أن عطور اليمن اجود الأنواع وأن أهل عدن من أشهر صناعه، وكـذلك انتـشرت صـناعة الزجـاج والخزف في اليمن ومما يدل على أنتشار هذه الصناعة هو وجود بئر يسمى بئر سوق الخزف وكانت المـواد الاولية لهذه الصناعة موجودة في جبال عدن والمناطق القريبة منها، كما وجدت في اليمن صـناعة الـذهب والفضة والعقيق واللؤلؤ والجزع وهو ما يعرف بالصناعة الاستخراجية كما يوجد العنبر في اليمن ولكثرة في السواحل من عدن الى محا، ويذكر أنه في سنة (١٦٤هـ - ٧٨١م) قام الخليفة المهدي بعزل والي اليمن عبـد الله بن سليمان عن ولايته وأمر بحبسه بعد أن وجد معه الجواهر والعنبر مما يدل على أهمية هـذه المـواد، وكذلك وجدت في اليمن صناعة الحديد والرصاص وصناعة أدوات الحرب مثل السيوف وكانت لهـا شـهرة واسعة بين صفوف المقاتلة (السيوف اليمانية) والدروع والنصال، وصناعة الجلود وصناعة العقاقير الطبيـة وصناعات أخرى كثيرة [٣٣].

المبحث الثالث

التجارة في اليمن في العصر العباسي

أشتهرت اليمن في التجارة خلال عصر ماقبل الاسلام ممراً بحرياً مهماً للمراكب التجاريـة المحملـة بالبخور والتوابل حتى أصبحت اليمن البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق الى الغرب وبالعكس وذلك بحكـم موقعها الجغرافي المهم، كما تعرفت اليمن وبواسطة هذه التجارة على حضارة اليونان والرومـان والبـابليين والفينيقيين وقد كانت عدن سوقاً وميناء لكبار تجار اليونان والرومان فقد كانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر، وكذلك كانت عدن مركزاً لتبادل السلع الأفريقيه والهندية ومكاناً تبحر منه السفن الى الهنـد، وقـد ظل ميناء عدن محتفظاً بمكانته في التجارة العالميه بل تحول بعد الأسلام الى مستودع ضخم للبـضائع مـن مصر وشرق أفريقيه والهند بعد أن جعلها التجار الممر الرئيسي لهم [٣٤].

وفي العصر العباسي نجد أهتمام ملحوظ من قبل أمراء وسلاطين اليمن بميناء عدن، فقد قام الأميـر محمد بن زياد مؤسس الأمارة الزيادية بتوفير الأمن حول ميناء عدن وكان هذا سبباً فـي أن تتجـه الـسفن التجارية اليها، فضلاً على أن قيام الخلافة الفاطميه في مصر ساعد على انتعاش ميناء عدن الذي أصبح حلقة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الامور التجارية والأقتصادية خاصة اذا ما عرفنا أن الـيمن أصـبحت تدخل ضمن ولاء الفاطميين وقيام الدول المواليه لهم كالدولة الصليحية[٣٥].

وكذلك أسهم ميناء غلافقه بدور فعال في النشاط التجاري لليمن لما توفر له من مقومات جعلته يحتل تلك الأهمية، ومنها قربه من مدينة زبيد عاصمة الدولة الزيادية، فقد كان يربطه بها طريق بري هام تسير فيه القوافل التجارية محملة بالبضائع ومتجه نحو مدينة زبيد، فضلاً عن موقعه في سهل زراعي خـصب تميـز بكثرة انتاجه الزراعي، كما كانت مياهه صالحه للأستعمال مما أتاح للقوافل والحجيج التزود بمـا يحتاجونـه منه[٣٦].

وكانت سواحله تحتوي على ثروة سمكية كبيرة فكان أهله يقومون بأصطياد الأسماك، كما أصبح ميناء غلافقه ملتقى السفن والقوافل التجارية فكانت تصل اليه مراكب الحجاز ومصر والحبشة وهي محملة بالسلع المختلفة وعليها الكثير من التجار القادمين من تلك البلدان، وكان التجار وقوافلهم يعبرونه أثناء مسيرهم نحو مدينة زبيد، فكان أشبه بمحطة تجارية للصادر والوارد من التجار من مختلف البقاع، كما أرتبط بطريق هام مع ميناء عيذاب الشهير حيث كانت السفن التجارية اليمنية تنطلق نحوها، ولم يبلغ ميناء غلافقه ما وصل اليه ميناء عدن من نشاط تجاري بل جاء بعده في ذلك النشاط بين موانئ اليمن المختلفة(٣٧).

وايضاً كان لميناء عثر دور هام في النشاط التجاري فمدينة عثر تتوسط منطقه زراعيه غنية بما تنتجه من محاصيل زراعيه كما أضاف موقعه المتوسط أهمية أخرى فقد اصبح سوقاً للمنطقة التي حوله، فضلاً على أن ميناء عثر كان المنفذ البحري لمدينتين هامتين هما صعدة وصنعاء(٣٨).

ومن الموانيء المهمة الأخرى في اليمن ميناء الأهواب والذي يقع الى الجنوب من ميناء غلافقة حيث توفرت له المقومات لميناء غلافقة من موقع على ساحل البحر وقرب من مدينة زبيد وأطلاله على سهل تهامة الغني زراعياً، وقد كان بهذا الميناء شهرة ونشاط تجاري بأستقباله السفن القادمة من شرق أفريقيا حيث كان يقابل ميناء عوان الواقعة على الساحل الأفريقي والذي كانت تأتي منه السفن محملة بالبضائع الى الميناء الأهواب(٣٩).

كما وجدت في العصر العباسي بين الحجاز والحبشة وأسيا الصغرى وبين أسيا الشرقيه علاقات تجارية، فبينما كان زمرد ساحل الهند الشرقي ينقل الى الغرب عن طريق عدن ومكة كان أمراء الشرق الأقصى ينقلون ناب الفيل الكثير من الحبشة ، وكان ميناء عدن سوقاً نافقة لتلك السلع ومرسى للسفن القادمة من كل انحاء آسيا وساحل أفريقية الشرقي، ولما كثرت الأموال في ايدي العباسيين حملوا السلع من جميع أنحاء العالم الى العراق فحملوا الحديد من خراسان والرصاص من كرمان والعود والمسك والسروج من الصين والعطر وأنواع الطيب من اليمن والسلاح والمصوغات من بلاد فارس واللآلئ من عيذاب على البحر الاحمر والخيزران والكافور والقرنفل والثياب القطنية والفيلة من الهند والسند والياقوت والماس من سرنديب والجلود من بلاد الروم والفاكهة والحديد والسلاح من بلاد الشام وجلود الثعالب من روسيا(٤٠).

وكان للتجار مركز في الدولة اليمنية لأن التجارة كانت أهم موارد الدولة وكانت بلاد الهند تمد اليمن بالسلع والسفن، فضلاً عن أعتماد اليمن على أرباب الصناعات في مصر والشام فقد كانوا يجزلون لهم الرواتب ويحسنون معاملتهم ويقربون اليهم مهرة الصناع ويمنحونهم ما يعوضهم عن ترك اوطانهم بما يوفرونه لهم من أسباب الرفاهية ورغد العيش، فكان اليمنيون يهتمون براحة الغرباء القادمين على بلادهم ويكرمون وفادتهم(٤١).

كما كان لموقع عدن على البحر المتوسط أثراً كبيراً في قيام علاقات وصلات تجارية مع الكثير من الدول حيث أرتبطت اليمن بعلاقات مع كل من الصين وشرق أفريقيه والحبشة ومصر، ومما زاد من توثيق الصلات التجاريه بين اليمن ومصر هو قيام الدولة الصليحية في اليمن وأرتباطها بدعوة الفاطميين حيث أخذ التجار المصرين يدخلون الى اليمن حتى أستقر عدد منهم في مدن اليمن، كما أستمرت العلاقات بين اليمن ومصر في العهد الأيوبي ايضاً بعد أن اصبحت اليمن جزءاً من الدولة الايوبية(٤٢).

وكذلك قامت علاقات تجاريه متميزة بين اليمن والهند حيث وصل الى اليمن الكثير من المنتجات الهندية كالفلفل والكافور والقرنفل والتمر الهندي والثياب الخام الهندي وغيرها(٤٣).

الخاتمة

يمكننا في ضوء ما تقدم من مباحث تضمنها هذا البحث أن نستلخص ما يأتي :

١- عرفت اليمن السعيدة ومنذ حقب تاريخية قديمة بأهمية أستراتيجية واقتصادية مميزة.

٢- كان اليمن بلاد زراعي من الطراز الأول أزدهرت فيه الزراعة وعرف بأستخدام نظام المدرجات في زراعة المناطق الجبليه والوعرة.

٣- أشتهر اليمن ومنذ القدم بتطوره في مجال الري وبناء السدود وخير دليل على ذلك سد مأرب.

٤- أنفردت اليمن بزراعة بعض الأشجار والنباتات والتي تميزت بمردودها الأقتصادي المرتفع ونـال شهرة واسعة بأنتاجه لها وخاصة (اللبان).

٥- تميزت اليمن بين طرائق ريها وغزارة زروعها حيث كان يوجد في اليمن العديد من الأودية ومنها (وادي البجايه) و(وادي عدو) و(وادي برامس) وغيرها.

٦- أهتم أهل اليمن كحالة مرتبطة مع الزراعة بالثروة الحيوانيه حيث آشتهرت مدينة (جـبلان) بكثـرة البقر وآشتهرت بلدة (الصعر) بالابل.

٧- كان لأضطراب الاوضاع السياسيه في اليمن في العصر العباسـي آثـره الكبيـر علـى النـواحي الاقتصادية.

٨- أزدهرت الصناعة في اليمن وأنتشرت في مدنه المشهورة.

٩- لقيت الصناعة في اليمن أهتماماً كبيراً من قبل حكام اليمن وخاصة الصناعات القائمه على الأنتـاج الزراعي.

١٠- وكدليل على أهتمام اليمن بالصناعة هو تأليفهم لبعض المؤلفات التي تناول الصناعه ومنهم السلطان الملك المظفر الاول الذي ألف كتاب (المخترع في فنون من الصنع).

١١- عمل اليمنيون على استقدام صناع من مصر والشام لقلة وجودهم في اليمن، كما عملوا على أرسال متخصصين في معرفة الصناعات الى عدد من الدول ومن بينها العراق والشام.

١٢- يمكن تقسيم صناعات اليمن الى قسمين وهما صناعات قائمه على الانتاج الزراعي مثـل صـناعة المنسوجات وصناعة القطن وصناعة الزيوت وصناعة السكر والنبيـذ وغيرهـا، وايـضاً هنـاك صناعات قائمه على الانتاج الحيواني مثل صناعة الالبان ومشتقاتها وصناعة الحرير كمـا أهـتم بتربية النحل.

١٣- أشتهرت اليمن بصناعة العطور والطيب وقيل ان عطور اليمن من أجود الانواع وكذلك أشـتهرت صناعة الزجاج والخزف في اليمن ومما يدل على ذلك وجود بئر سي (بئر سوق الخزف).

١٤- كان لليمن نشاط تجاري متميز مع مختلف أرجاء العالم من خلال موقعها الجغرافي المهـم علـى طرق الملاحه والمواصلات الدوليه المعروفه ومنذ القدم والذي عزز من دور اليمن واهميتها فـي مجال النشاط التجاري.

١٥- كان لأمراء وسلاطين اليمن أهتمام ملحوظ بميناء عدن لانه يشكل حلقة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الأمور التجارية والاقتصاديه خاصة بعد قيام الدولة الفاطميـه فـي مـصر وأن الـيمن أصبحت تدخل ضمن ولاء الفاطميين.

١٦- وفضلاً عن ميناء عدن كان هناك العديد من الموانئ في اليمن والتي ساهمت وبـدور فعـال فـي النشاط التجاري لليمن ومن هذه الموانئ ميناء (غلافقه) وميناء (عثر) وميناء (الاهواب) وغيرها.

١٧- كان لليمن علاقات تجارية متميزة مع عدد من الدول ومن بينها الصين وشرق أفريقيـة والحبـشة ومصر والهند وغيرها من الدول.

الهوامش

١- المسعودي: أي الحسن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الـدين عبـد المجيد، ط٤، بيروت، ج٢، ص٦٩.

٢- الحموي، شهاب الدين (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط١، بيروت، ١٩٩٦، ج٥، ص١٧٢.

٣- خالص: الأشعب، اليمن دراسة في البناء الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي، بيروت، د، ت، ص١٠.

٤- الحموي: المصدر السابق، ص٢٠.

٥- البواب، خليل، موسوعة بلدان العالم، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥، ص١٦٥.

٦- الاشعب، المصدر السابق، ص٢١.

٧- النصيبي،، أبي القاسم آبن حوقل (ت٣١٧هـ)، صورة الارض، ط٢، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٢٦.

٨- الرازي : أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني(ت٤٦٥هـ -١٠٦٧م)، تاريخ مدينة صـنعاء، تحقيـق حسين عبد الله، ط١، دمشق، ١٩٧٤، ص١٠٦.

٩- ابن الديبع : عبد الرحمن ابن علي(ت٩٤٤هـ -١٥٣٧م)، قرة العيون في أخبـار الـيمن الميمـون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ص١٣٠.

١٠- الرازي: المصدر السابق، ص١٠٨.

١١- الحمزي: عماد الدين آدريس بن علي بن عبد الله (ت٧١٤هـ -١٣١٤م)، كنز الأخبار في معرفـة السير والأخبار، تحقيق عبد المحسن المدعج، ١٩٩٢، ص٤٠.

١٢- محمود: حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي، ط١، ١٩٦٩، ص٢١٠.

١٣- الخزرجي : علي بن الحسن(ت٨١٢هـ -١٤٠٩م)، العقود اللؤلئية في تـاريخ الدولـة الرسـوليه، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١، ج١، ص٢١.

١٤- الخزرجي : المصدر نفسه، ص٢٧.

١٥- الأكوع، محمد بن علي الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط١، القاهره، ١٩٧١، ص٤٢.

١٦- الأكوع : المصدر نفسه، ص٤٨- ٤٩.

١٧- الخزرجي : المصدر السابق، ص٣٠.

١٨- (الفوه): وهي عروق نباتات لونها أحمر كان يستعملها الصباغين وطعمها مر وكانت تـصدر الـى خارج اليمن.

١٩- الخزرجي: المصدر نفسه، ص٣٢،

٢٠- الأكوع: المصدر السابق، ص٥٦.

٢١- الهمداني : الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمـد بـن علـي الأكـوع، الرياض، ١٩٧٤، ص٧٦.

٢٢- اليعقوبي: أحمد بن يعقوب(ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

٢٣- أبن الدبيع: المصدر السابق، ص١٣٠.
٢٤- الهمداني: المصدر السابق، ص٣٥٩.
٢٥- الريس: ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة العربيـة الأسـلامية، دار الأنـصار، القـاهره، ١٩٧٧، ص٥٤.
٢٦- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الأقتصادي العربي، ط٥، بيروت، ١٩٨٧، ص٧٤.
٢٧- الخزرجي: المصدر السابق، ص٥٧.
٢٨- الدوري، المصدر السابق، ص٨٤.
٢٩- الأكوع: المصدر السابق، ص٥٦.
٣٠- أبن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
٣١- آبن فضل الله العمري : المصدر، نفسه، ص٦٥.
٣٢- آبن المجاور : جمال الدين آبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد(ت٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، تاريخ اليمن ومكة والحجاز المعروف بتاريخ المستبصر، ص٢٣٣.
٣٣- الواسعي : عبد الواسع بن يحيى اليماني، تاريخ اليمن،، القاهرة، ١٣٦٤ه، ص٨٧.
٣٤- علي : جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام، بيروت، ١٩٦٩، ج٢، ص٧٧.
٣٥- آبو مخرمة : آبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد(ت٩٤٧هـ-١٥٤٠م)، تاريخ ثغر عدن، ١٩٣٦، ص٩٤.
٣٦- المقدسي : آبو عبد الله بن احمد بن آبي بكر(ت٣٧٥هـ)، آحسن التقاسـيم فـي معرفـة الاقـاليم، ص٨٦.
٣٧- آبن المجاور : المصدر السابق، ص ٢٤٣.
٣٨- المقدسي : المصدر السابق، ص٧٨.
٣٩- آبن المجاور : المصدر السابق، ص ٢٤٧.
٤٠- حسن : حسن أبراهيم، اليمن البلاد السعيدة، دار المعارف، مصر، د، ت، ص٥٧.
٤١- آبو مخرمه : المصدر السابق عدن، ص٢٩.
٤٢- آبن المجاور : المصدر السابق، ص١٤٤.
٤٣- ابو مخرمة: المصدر السابق، ص٩٤.